المعهد القرآني الدعوي

بحث معاصي السر

تحت إشراف:

د. حـــازم شـــومان

إعداد الطالبات:

رسولي أندى العالمين – المشتاقة للفردوس (ريهام)

عناصر البحث:

- مقدمة
- خطورة معاصي السر إجمالاً
- الأثر القلبي لمعاصي السر
- الأثر الدنيوي لمعاصي السر
- الأثر الأخروي لمعاصي السر
- روشتة العلاج
- خاتمة

مقدمة:

منّ الله عليه فألتزم وصار يتنقل بين الطاعات من فروض وسنن وواجبات وهجر حياة المعاصي والذنوب والموبقات، ولكن لا يزال الشيطان يراوده ويأتيه بين الأوقات ، وأكثر ما يكون ذلك في الخلوات. فيوسوس له بمشاهدة أو سماع أو قول الحرام أو يزين له فعله ولأنه عنده من ضعف مراقبة الله في الخلوات ما عنده ، يقع في الفخ الذي نصبه له إبليس ونفسه الأمارة بالسوء ، فيقع في الذنب. ولأن الله وضع في قلبه خير يعود فيندم فيتوب، ولكن لما يختلي بالله مرة أخرى يزين الشيطان له فعل الذنب فيعود ويتكرر منه الذنب. وهكذا يختلي يذنب ..ثم يندم يتوب .. يختلي يذنب .. ثم يندم يتوب.

هذه صورة واحدة وغيرها كثير من صور ذنوب الخلوات فمنهم من إذا خلى بالله زنى أو سرق أو تعامل أو تعدى على حق لغيره والصور كثيرة في هذا الباب منها ما هو من صغائر الذنوب ومنها الكبائر.

إذًا ذنوب الخلوات عنوان كبير لضعف تعظيم الله في قلب العبد، وبرهانٌ ساطع على عدم إجلال الله سبحانه كما يليق بجلال وجهه، وتقديم تعظيم الخلق وخشيتهم على تعظيم الله وخشيته.

أولًا: خطورة معاصي السر إجمالاً:

لخص أحد علماء السلف رحمهم الله نتيجة ذنوب الخلوات في جملة وكأنها معادلة حسابية فقال رحمه الله (ذنوب الخلوات .. انتكاسات ، وطاعات الخلوات .. ثبات)

فلو رأيت أحدا ممن كان مشهوراً بالالتزام معروفاً عند أهل الخير والإقدام لو رأيته على حال أخرى ، لو رأيته وقد تبدل حاله وانتكس فأعلم أن الأمر لم يكن صدفة ولم يأتي بغتة ، فإنه بارز الله بالمعاصي في الخلوات حتى تكاثرت على قلبه فظهرت في العلن.

وإن لم يكن من خطورة ذنوب الخلوات إلا هذا الحديث لكفى فقد جاء في سنن ابن ماجه بسند جيد عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : (لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا) قَالَ ثَوْبَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ ، قَالَ : (أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) [رواه ابن ماجه (4245) ، وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجه. "]

ثانيًا: الأثر القلبي لمعاصي السر:

1. ضعف تعظيم الله في القلب:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وَمِن عُقُوباتها – أي الذنوبُ والمَعاصي – أنَّها تُضعفُ فِي القلبِ تعظيمَ الربِّ جلَّ جَلالُه، وتُضعِفُ وقَارَهُ في قَلبِ العبدِ ولا بُدَّ شاءَ أم أبى، ولو تَمكَّنَ وقَارُ اللهِ وعظمتهُ في قَلبِ العبدِ لما تجرَّأَ على معاصيه." وربَّما اغتَرَّ المغترُّ وقال إنما يَحملني عَلى المعاصِي حسنُ الرجاء، وَطَمعي في عَفوهِ , لَا ضعفُ عظمتِه في قَلبي!

وهَذا مِن مغالطة النفس.. فَإنَّ عظمة الله تعالى و جلاله في قلبِ العبدِ وتعظيمَ حرماتِه يحولُ بينه وبينَ الذنوب، والمُتجرِّؤنَ على معاصيه مَاقدرُوه حقَّ قدره، وكيفَ يَقدُرُهُ حقَّ قدرِه أو يعظِّمُه أو يكبِّرُه أو يَرجو وقاره ويُجِلُّهُ من يهونُ عليهِ أمرهُ وَنهيُهُ!

2. عدم سلامة القلب:

يقول الله تعالى في سورة الشعراء { يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } ومحال أن يكون هذا القلب الذي جعل صاحبه يخاف من الخلق ولا يخاف من رب الخلق، وجعل الله أهون الناظرين إليه محال أن يكون هذا القلب سليمًا.

ولقد جاء فيها ما جاء من الوعيد والتهديد والتحذير..ما سر ذلك وما سببه؟ لأنها معصية تتعلق بالقلب والقلب هو محل نظر الله إلى العبد فإذا صلح، صلح سائر الجسد وإذا فسد، فسد سائر الجسد.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: " اعلم: أن خوفك واضطراب قلبك عندما تحرك الريح ستر بابك, أعظم من الذنب."

3. فتنة القلب والإنتكاس:

يقول ابن القيم رحمه الله: أجمع العارفون بالله أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات.

فمعاصي السر هي سبب أصيل لكل انتكاسة والدليل على ذلك :

تأمل في أحوال الناس تأمل في أحوال الشباب في أحوال الفتيات الكبار الصغار تجد الإنسان كان على طاعة كان على خير يحب الله عز وجل ويحب رسوله صلى الله عليه وسلم ويداوم على الطاعة على الصلاة على الصدقة على أنواع من البر وبين عشية وضحاها, تقلبت الحال .فما هي بالأحوال التي نعرف وتغيرت القلوب والنفوس فما هي بالقلوب التي نعرف وتغيرت الأخلاق فما هي بالأخلاق التي نعرف.

ولو تساءلت مع كثير من الذين يعصون الله بعد طاعة, لوجدت أن الذنوب التي كانوا يفعلونها في السر لا يبالون بالله ولا بنظر الله ولا بسمع الله ولا بعلم الله تبارك وتعالى هي السبب في أن ترده في حمئة الرذيلة والوقوع في السيئات والخطايا والموبقات.

وفي الحديث الصحيح : عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ : نَحْنُ سَمِعْنَاهُ . فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَجَارِهِ ؟ قَالُوا : أَجَلْ . قَالَ : تِلْكَ يُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ ، وَالصِّيَامُ ، وَالصَّدَقَةُ ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ . فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَ : أَنْتَ ، لِلَّهِ أَبُوكَ . قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " : تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا ، نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى يَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ.

ولا يصل القلب إلى هذه المرحلة إلا بعد أن يألف الذنوب ويستهين بها, ويكون الله أهون الناظرين إليه.

4. سوء الظن بالله:

فهذا الذي عصى الله في السر أساء الظن بربه حيث نسى أن الله يراه وأيضًا أساء الظن بربه حين جعله من أهون الناظرين إليه وأيضًا لم يقدر الله حق قدره.

5. اليأس من الإصلاح:

أخطر ما في ذنوب الخلوات أن تكرار السقوط فيها يبث اليأس في قلوب العصاة، فيتركون المحاولة، وينقطعون عن التوبة، وهو ما يؤدي لموت القلب، وأي مُصيبة أعظم من موت القلب! وعلامته الأساسية: عدم الحزن على ما فاتك من الطاعات، وترك الندم على ما فعلته من المعاصي والزلات. وهذا دليلٌ على غضب الرب، فإن الَّذي مات قلبه لا يخشع، ولا المواعظ فيه تنفع، فإذا تُلِيت عليه آيات ربه أصرَّ مستكبرا كأن لم يسمع.

إذا مَضَتِ الأوقاتُ في غير طاعة *** ولَمْ تكُ محزونا فذا أعظم الخَطْبِ

علامة موت القلب أن لا ترى به *** حراكًا إلى التقوى وميْلًا عن الذَّنبِ

ثالثًا: الأثر الدنيوي لمعاصي السر:

1. يفتضح أمره بين الناس:

أن يفضحه الله في الدنيا بين الناس الذين استتر عنهم قبل أن يفضحه في الآخرة يوم العرض على الله. كان أبو سليمان الداراني يقول:" والله ما من عبد يسر سريرة سوء بينه وبين ربه إلا ويفضحه الله كائنًا من كان"

فمهما قام هذا العبد بالأخذ بجميع الأسباب التي تستره عن الخلق لابد في النهاية أن يفضح بين الخلق في الدنيا إما بعلمهم بمعصيته حال حياته وإما بما يكون من سوء خاتمته بعد موته.

وقال يحيى بن معاذ " من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية." وقال بعض السلف: " ما أسر عبد سريرة إلا أظهرها الله على قسمات وجهه أو فلتات لسانه". وقال آخر: " ما أسر عبد سريرة إلا كساه الله رداءها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر"

ويقول العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: " وقد يُخفي الإنسان ما لا يرضاه الله عزوجل فيظهره الله عليه ولو بعد حين وينطق الألسنة به , وإن لم يشاهده الناس وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق, فيكون جوابًا لكل ما أخفى من الذنوب وذلك ليعلم الناس أن هناك من يجازي عن الزلل ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار ولا يضاع لديه عمل"

وقال ذا النون: " من خان الله في السر هتك الله سره في العلانية" [أورده ابن القيم في الجواب الكافي]

2. يبغضه المؤمنون:

قال أبو الدرداء لسالم بن أبي الجعد : ليحذر امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر! قال: أتدري ما هذا؟! قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عزوجل فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر!!

وهذا الذي قاله أبو الدرداء رضي الله عنه يؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله إذا أحب عبدًا نادى في السماء ....." الحديث " فيه يوضع القبول في الأرض [رواه مسلم (2637) من حديث النواس بن سمعان مرفوعا]

وهذا القبول من أثر محبة الله تعالى لهذا العبد الذي التزم حدود الله في الجلوات والخلوات وأما العبد الآخر فقد ذُكر في الحديث " ثم تُضع له البغضاء في الأرض " فأيما ولى وذهب فإن قلوب الخلق تلعنه وهذا من أثر بغض الله وسخطه عليه.

ويبين لنا ابن الجوزي رحمه الله صنفًا ممن ينتسبون إلى العلم وقد أهملوا نظر الحق عزوجل في الخلوات فيقول: " رأيت أقوامًا ممن ينتسبون إلى العلم أهملوا نظر الحق عزوجل إليهم في الخلوات فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات فكانوا موجودين كالمعدومين لا حلاوة لرؤيتهم ولا قلب يحن إلى لقائهم"

3. سواد الوجه:

كان السلف رحمهم الله يعرفون صاحب معصية الخلوة ، فإن لها شؤماً يظهر في الوجه ويظهر في ضعف إقباله على الطاعات ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : (إن للحسنة ضياءً في الوجه ، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق ، وقوةً في البدن ، ومحبةً في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمةً في القلب، ووهناً في البدن , ونقصاً في الرزق ، وبغضةً في قلوب الخلق)

وقال أحدهم : " إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله ثم يجيء إلى إخوانه فيرون أثر ذلك عليه "

4. الذل:

وقال سليمان التيمي رحمه الله : " إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته" [أورده ابن القيم في الجواب الكافي]

رابعًا: الأثر الأخروي لمعاصي السر:

1. سوء الخاتمة :

وهي عقوبة إلهية على عدم صدق العبد، وإيثاره رضا المخلوقين على رضا رب العالمين. قال ابن القيم" :أجمع العارفون بالله أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات". وأيَّده في ذلك ابن رجب فقال: "خاتمة السوء تكون بسبب دسيسةٍ باطنة بين العبد وربه." وهذه الدسيسة الباطنة هي معصية السر.

2.الندم يوم العرض على الله:

وهذا من أخطر المواقف التي سيندم العبد عليها ندمًا شديدًا إن كان في يوم من الأيام قد وقع في معصية من معاصي السّر يوم يقف بين يدي الله عزّ وجل والله سبحانه وتعالى قد أظهر كلّ صغيرة وكبيرة، الله سبحانه وتعالى قد أظهر ما

كان خافيًا قبل ذلك، يوم أن أقف و أعْرض على الله، يوم أن أقف و أعْرض على الله، والله سبحانه وتعالى يقول: { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقّة:51]. وقال الله تعالى: { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ } [الطارق:9].

قال ابن عمر: "فو الله ما عمل العبد عملًا إلا ويظهر في هذا اليوم إما زينًا في الوجوه وإما شينًا فيها ".

قال ابن عباس عن المذنب في الخلوات: "وخوفك من الريح إذا حرَّكت سِترَ بابك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عمِلته". ينظر أحدهم إلى الأمام وإلى الوراء، وذات اليمين وذات الشمال، حتى إذا ما اطمأن أن لا أحد يراه بارز ربه بالعصيان!

ولعل من عجيب الأقدار أن يتكرر معه نفس المشهد بحذافيره؛ لكن على شفير النار !في صحيح البخاري:.«لَيَقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا تَرْجُمان يُترجِم له، ثم ليقولن له: ألم أوتِك مالا؟ فَلَيقولَن: بلى، ثم لَيَقولنَّ ألم أُرسِل إليك رسولا؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يَمِينه فلا يرى إلاَّ النَّار، وينظر عن شِماله فلا يرى إلاَّ النَّار. ونظره ناحية اليمين وناحية الشمال كان في الدنيا خوفًا من أن يراه الناس، لكنه في الآخرة طلبًا للغوث أو رغبةً في الهرب من العذاب»

3.السيئات في الخلا تنسف الحسنات في الملا:

أنه في الآخرة يجد ما عمله من حسنات صارت هباءًا منثورًا ويتحقق فيه قول الله تعالى:{ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }[الفرقان:23] ، وأيضًا قوله تعالى { وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } [الزمر: 48].

في حديث ثوبان رضي الله عنه: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا ».قال ثوبان: يا رسول الله! صِفهم لنا، جلِّهم لنا ألا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: « أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» (السلسلة الصحيحة: 505)

وهو ما يجعلك أحرص ما تكون على محارم الله إذا خلوت، وأخوف –إن أغلقت عليك بابك– من تبديد طاعاتك التي قدَّمت، وإلا كنت أحمقًا وأخسر الخاسرين. قال ابن الأعرابي: "أخسر الخاسرين من أبدى لِلنَّاسِ صَالِح أعماله، وبارز بالقبيح من هُوَ أقرب إِلَيْهِ من حبل الوريد."

4. السقوط من نظر الله:

قال ابن الجوزي: "والحذر الحذر من الذُّنُوب خصوصًا ذنوب الخلوات، فإن المبارزة لله تعالى تُسقِط العبد من عينه سبحانه". ومتى سقطت من عين الله فكيف تُفلِح؟!"

خامسًا: روشتة عملية لعلاج معاصي السر:

1. قلل من خلواتك:

إن كان مدخل الشيطان فلا تجلس وحدك، فبعض المعاصي تستثار بالخلوة، يختلي الإنسان فيقوى سلطان الشيطان عليه، فتتحرك شهوته لارتكاب المعصية. واعلم أن الخلوة فرصة ثواب، لكنها سلاح لا يقوى عليه إلا أقوياء الإيمان، وإلا انقلبت إلى سلاح مضاد في يد الشيطان.

2. الدعاء خير دواء:

الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء ، والتضرع إليه ، أن يصرف عنه الذنوب والمعاصي ، قال تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة/ 186]

انطرح بين يدي ربك متذللًا أن يُصلح الله سريرتك، بل وكن طموحًا في دعائك بأن تسأله أن يجعل سريرتك خيرًا من علانيتك، فالرب كريم، وخيره عميم، وَجوده عظيم. والدعاء هنا قسمان:

- دعاء وقائي: أن يرزقك الله خشيته في الغيب والشهادة، ولذا كان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : «وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة » (صحيح الجامع:1301).
- دعاء علاجي : إن وقعت في الذنب، وعصيته في السِّر، ولذا علَّمك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول في سجودك: «اللهم اغفِر لي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وجِلَّه، وأوّلَهُ وآخِرَه، وعلانيته وسِرَّه» (صحيح مسلم483:).

3. المجاهدة:

مجاهدة النفس ، ودفع وسوستها ، ومحاولة تزكيتها بطاعة الله ، قال تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [الشمس/7 – 10]، وقال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[العنكبوت/69].

4. المراقبة:

إن الذي يرتكب جرمًا عظيمًا في حق بشر قد يبدو مذعورًا، فيشكو لأصحابه، فيسأله أحدهم: هل رآك أحد؟ فإن قال لا، قيل له: فاطمئن إذن! وعندها يهدأ ويرتاح ويزول عنه الخوف! فما بالك وكل أعمالك مراقبة، في سرك وعلانيتك، وليلك ونهارك؟ أليس هذا أعظم باعث على الخوف؟! قال ابن المبارك: "الذي يهيج الخوف حَتَّى يسكن فِي القلب دوام المراقبة فِي السر والعلانية."

استشعار مراقبة الله تعالى ، وأنه رقيب ، ومطلع على المسلم في كل حال. قال ابن كثير رحمه الله: وقد ذُكر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كان ينشد هذين البيتين ، إما له ، أو لغيره:

إذَا مَا خَلَوتَ الدهْرَ يَومًا فَلا تَقُل ... خَلَوتُ وَلكن قُل عَليّ رَقيب

وَلا تَحْسَبَن الله يَغْفُل ساعةً ... وَلا أن مَا يَخْفى عَلَيْه يَغيب

5. تعظيم الله عز وجل:

لكن كَيف يعظِّم العَبْد من لَا يعرفهُ؟! ومن عرف أسماء الله وصفاته، فقد عرف لله قدْرَه. ومن ملأ قلبه بتعظيم ربه ومعرفة قدره؛ لم يعص الله في سره أو جهره؛ لأن تعظيم الله يورث الحياء منه كما قال الإمام محمد بن نصر: "إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله والهيبة له، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه. وذكر المقام غدا بين يديه. وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه. وذكر دوام إحسانه إليه. وقلة الشكر منه لربه. فإذا غلب ذكر هذه الأُمور على قلبه هاج منه الحياء من الله، فاستحى من الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه يتحرك بما يكره، فطهَّر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه."

6. لزوم الجماعة الصالحة:

لأن الخلوة فرصة يتفرد بها الشيطان بالإنسان، وفي الحديث الذي رواه الترمذي: « عليكم بالجماعة! فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد » وكلما كانت الصحبة أصلح كان الشيطان أبعد. فعاهد ربك يا مبتلى بذنوب الخلوات أن لا خلوة إلا مع صحبة صالحة؛ تقطع بذاك الطريق على العدو الذي يتمنى الاستفراد بك ليهزمك، فإذا به يُفاجأ بك متترِّسًا بإخوانك فيندحر.

7. التوبة الفورية:

عوِّدوا أنفسكم المبادرة بالتوبة؛ السر بالسر، والعلن بالعلن! فإما توبة فور المعصية، وإما فضيحة الدنيا قبل الآخرة! لسان حالكم بين يدي ربكم: قطعنا الذنب ووصلناك، وخاصمنا الشيطان وجئناك، وعصينا هوانا في سبيل رضاك، فإن ذقت حلاوة الوصال بعد الفراق فَزِدْ، وإن لم تجرِّب هذا الزاد فجرّبه.

8. أن يتخيل المسلم من يجلهم ، ويحترمهم ، ينظرون إليه وهو يفعل ذلك الذنب ! :

ويستشعر استحياءه من الله أكثر من استحيائه من الخلق , وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (واستحي من الله استحياءك رجلاً مِنْ أهلكَ) [صححه الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (3559) ، وعزاه للبزار ، والمروزي في "الإيمان "].

9. تذكر الموت:

تذكر الموت لو أنه جاءه وهو في حال فعل المعصية، وارتكاب الذنب، فكيف يقابل ربه وهو في تلك الحال؟!

10. تذكر العرض على الله:

غدًا تُستدعى للمساءلة وتحضر للمحاسبة، فما قولك لربك عن معصية السر التي أخفيتها عن الناس وأبديتها لرب الناس! يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه ربُّهُ، ليس بينَه وبينَه تُرجمانٌ، ولا حجابٌ يحجبُه» (البخاري:7443). والتفكر في هذا الموقف مدعاة لأن يُحسِن كل عبدٍ سريرته ويُصلِح خلوته.

11.الخوف من حبوط العمل:

تأمل الوعيد الشديد الوارد في حديث ثَوْبَانَ السابق ذِكره، وخشية انطباقه على فاعل تلك الذنوب في خلواته.

12.تذكر الجنة:

تذكر ما أعده الله لعباده الصالحين من جنة عرضها السموات والأرض , والتفكر في عذاب الله تعالى ، قال تعالى: (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [فصلت/40].

13.ابْنِ على رصيدك من الخير:

إنَّ ستر الله لك دليلٌ على أنه لا زال لك رصيدٌ عند ربك، فلم يهتك سترك بينما غيرك مفضوح، فابنِ على رصيد الخير لديك بحسنات الخلوات، ولا تبعثر ما تبقى لديك بعصيانك في الخلا، وإلا فضحك على الملا. أيها المستور على السوء والزور، أنت في المهلة، لكنك لا تدري متى انقضاؤها! فبادِرها!

- فما هى أعمال السر؟

1) التضرع فى الصوات فى الخلوات:

عن صهيب الرومي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صَلَاةُ الرَّجُلِ تَطَوُّعًا حَيْثُ لَا يَرَاهُ النَّاسُ تَعْدِلُ صَلَاتَهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ خَمْسًا وَعِشْرِين"

2) الصدقة فى السر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " : سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه "متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم" :إن صدقة السر تطفىء غضب الرب"

3) البكاء من خشية الله فى الخلوات

والبكاء المقصود هنا ليس بكاء الموافقة أى عندما يبكى شخص فتبكى أنت أيضا وليس البكاء حزنا على تذكر شخص عزيز عليك قد توفاه الله ولكن المقصود أن يكون البكاء فى السر وأن يكون البكاء عن علمك بالله. قال صلى الله عليه وسلم ": ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"

اجلس فى حجرتك لمدة نصف ساعة واغلق عليك بابك واذكر الله خاليا حتى تفيض عيناك. ادعو ربك وقل يارب رددها بكثرة حتى تخرج من قلبك. ادعو ربك حتى يرق قلبك

4) تعلم علما وابتغى به وجه الله عز وجل لا تريد به ثناء ولا شهرة ترزق به أعلى الدرجات:

قال ابراهيم بن أدهم : من طلب العلم لله كان الخمل أحب إليه من التطاول". هذا هو العلم الذى يورثك خشية الله

5) قراءة القرآن فى الخلوات:

قال الأعمش كنت عند إبراهيم النخعى وهو يقرأ فى المصحف فأستأذن عليه رجل ، فغطى المصحف، وقال : لا يرانى هذا أنى أقرأ فى كل ساعة

نصيحة: ادفن نفسك فى أرض الخمول فإن ما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه

والمعنى :لا تظهر عملك وأخفيه ، فالذى يخرج من الأرض بغير البذور التى توضع فى الأرض لا ينبت الفروع والشجر. لابد من عمل طاعة فى الخفاء لا تظهرها لأحد

هذا هو سبب اخلاصك فيكون خلاصك.

خاتمة:

انصح إخواني من المسلمين والمسلمات أن يحفظوا الله تعالى في خلواتهم ويراقبوا أنفسهم ويحاسبوها قبل حلول الأجل فإن السعيد من ألجم نفسه بلجام التقوى وانزلها منازل الهدى , وحملها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, وإذا دعتك أخي المسلم نفسك في الخلوة إلى الحرام فلا تتابعها ولا تسترسل مع هواك فإن الخير في مخالفة الهوى وإن من ترك شيئًا لله تعالى عوضه الله خيرًا منه , وليحاول المسلم أن يأخذ منهاجه من الكتاب والسنة ويسير على درب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع:

1. بحث على النت عن معاصي السر.
2. خطبة " الخواتم والسرائر" للشيخ هاني حلمي.
3. خطبة للشيخ أحمد جلال عن معاصي السر.
4. مقال للشيخ خالد ابو شادي عن ذنوب الخلوات.
5. موقع الإسلام سؤال وجواب.
6. صيد الخاطر.
7. صحيح الوابل الصيب.